الصراع المرابطي الموحدي ببلاد المغرب الإسلام
"ثورة بني غانية أنموذجا"

الدكتورة/ هرباش زاجية

جامعة معسكر

الملخص:

تطورت استراتجية الحروب ببلاد المغرب الإسلامي وسمحت للقوى المتصارعة فوق أرضه بالتفوق والانتصار تارة وبالهزيمة والانكسار تارة أخرى، ولقد شكلت ثورة بني غانية أنموذجا مميزا في خططها الحربية التي شملت بلاد المغرب الإسلامي بَرّه وبحره، بصحرائه وبتَله انطلاقا من جزر البليار صوب بجاية ومنها اتسعت رقعتها إلى المغرب الأوسط وإفريقية وطرابلس اختلفت فيها القوى المشاركة من بقايا الدولة المرابطية، وجيوش الدولة الموحدية إلى العناصر المسيحية بالأندلس وصقلية، فيا ترى كيف سُيَرت هذه الحرب التي دامت نصف قرن من الزمن(580ه إلى633ه) وكيف ساهمت الخطط المتبعة فيها بانتصار أو انهزام القوى المتحاربة وهل غيرت طرقها تماشيا مع الظروف أم بقيت كما كانت عليه؟

مقدمة:

اشتعلت هذه الحرب التي دامت قرابة نصف قرن بين الدولة الموحدية ببلاد المغرب وبقايا المربطين بجزر البليار في زمن تكالبت جموع النصارى بالأندلس استعملت فيها القوتان المتصارعتان كل الفنون القتالية للفوز بحروب كانت سجال بينهما في المناطق التي وطئتها أقدام عساكرهما لتضع سكان تلك المناطق الآمنة بين فكي كماشة يطالهم العقاب كلما انحازوا لطرف ضد غريمه لا يرتفع فيها سوى صوت صليل السيوف بساحات الوغى.

1- التعريف بأسرة بني غانية:

ثار سكان جزر البليار على حاكمهم أنور بن أبي بكر اللمتوني مما دفع بأمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين إلى تعيين حاكم جديد عليها، و لم يكن هذا الحاكم سوى ابن غانية، نسبة إلى إحدى قريباته التي تزوجت من يحي المتوفى، ورزقت منه بولدين هما يحي، ومحمد وكان لهما شأن بهذه الجزر فكان الأول واليا عليها منذ سنة 520 هـ/ 1126م والثاني خلفه عليها في 550هـ/1155م إلى سنة 578هـ 1182م([1]).

بدأت الدولة الموحدية تطالب إسحاق بن غانية بإعلان ولائه إذ يذكر الغبريني أنً طلب الموحدين هذا دفعه لمواجهة رسولهم بقوله: "أنا لا أراهم ولا يروني ولكن قل للموحدين يهيئون ما ينفقون على رأس هذين وأشار إلى رأس ولديه، فانفصل الرسول عنه... "([2]) ليلقى حتفه بعد فترة وجيزة مما عجل بقيام حرب بينهما عرفت بثورة بني غانية.

ارتكزت خطة بني غانية الحربية على مبدأ الهجوم خارج الديار لأن أرض جزر البليار ليست واسعة فأكبرها وهي ميورقة لا تتجاوز مساحتها 3604 كلم^2([3])، في حين تقدر مساحة الجزر الشرقية أو البليار مجتمعة مساحة5014 كلم^2 ([4])، و هي ميدانيا صغيرة ولا تتحمل تلك الحرب

1: المراكشي: المعجب في أخبار المغرب، تقديم و تحقيق زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع،1994، ص 225.

2:الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة لبجاية،تحقيق رابح بونار، دار النشر والتوزيع، الجزائر، 1970،ص ص 76-77.

3: Géographie d'Eespana,Cataluna , Baleares N° 9, Ed Planeta . P 454 , Spain , 1992

4 : أي ميورقة،منورقة، يابسة،قبريرة و فرمنتيرة. مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية و الجغرافية،ج1 مؤسسة هانياد،بيروت 1996، ص 301.

العنيفة لذلك لجأ حكامها إلى مهاجمة العدو في أرضه وهذه ليست طريقة جديدة ببلاد المغرب فلقد لجأ إليها أغاتوكل وقادة الرومان كريغولوس وشبيون ضد قرطاجة([1])، وهذا لصرف الموحدين عن جزر البليار.

نقل بنو غانية حربهم إلى المغرب الأوسط ثم إلى إفريقية وفق خطة مدروسة لأن صغر مساحة مملكتهم سوف لن يمكنهم من الصمود في وجه امبراطورية موحدية مترامية الأطراف، و علاوة على ذلك فإنها ستكون المصدر الذي يموّل قواتهم في إفريقية بالمال، و الرجال، و بالمؤن المختلفة بعدما أرسل الموحدون إلى محمد بن غانية ابن اسحاق بسفيرهم ابن الربرتير ([2]) يطالبونه بإعلان الولاء لهم لكن الحل لم يكن بيـــــده بل بيد إخوته الذين اختاروا المواجهة فسجنوه مع السفير الموحدي وأسندوا الحكم لأخيه علي([3]) وبادروا بالاعتداء على أراضي الدولة الموحدية انطلاقا من منطقة بجاية في 06 شعبان 580ه/ 13 نوفمبر 1184([4])،بقيادة علي بن غانية برفقة إخوته يحي، عبد الله، والغزي تاركين أمر مملكتهم لأخيهم طلحة.

. Alfred Bel :Les Benu Ghânya, Ed Ernest Leroux, Paris, 1903. P37:1

2 : البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، نشر ليفي بروفنسال، المكتبة الشرقية، بول قوتنز، باريس، 1928، ص 86.

3:هرباش زاجية : ثورة بني غانية، من 580 ه إلى 633 ه/1184م-1237م، رسالة لنيل شهادة الماجستير،جامعة وهران، 2001-2002، ص ص 69-70.

4 : اختلفت الروايات حول تاريخ الدخول فيذكر المراكشي وابن زرع تاريخ 06 شعبان أما ابن عذاري، ابن الشماع، الزركشي، ابن خلدون، ألفرد بل فيذكرون تاريخ 581هـ. المراكشي: المصدر السابق، ص 225. ابن زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط،1973. ص 215، ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، القسم الموحدي تحقيق إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1،1985،ص 175، ابن الشماع: مخطوط، مكتبة الحامة، الجزائر، رقم 1621ص ص 09-10. الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966، ص 19.ابن خلدون: العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، تحقيق تركي فرحان المصطفى، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص 192. ألفرد بل: المرجع السابق، ص 41.

اعتمدت هذه الحرب الضروس التي طال أمدها على استراتيجية عسكرية اختلفت من قوة إلى أخرى استنزفت فيها كل الطاقات البشرية والاقتصادية بصورة لم يدخر فيها أي طرف خبرته سواء كانت سياسية أو عسكرية:

1- استغلال الظروف:

أ- وفاة الخليفة الموحدي:

استغل بنو غانية الظروف التي كانت تمر بها الدولة الموحدية و في مقدمتها وفاة الخليفة أبو يعقوب يوسف في سنة 580هـ/ 1184م و ما انجر عن ذلك من انشغال الخليفة الجديد المنصور بأمور الخلافة، فالظرف السياسي قد تهيأ لبني غانية في ظل تمكن النصارى من قتل الخليفة ،وانسحاب قواته من الأندلس، مما جعل قصر مراكش في حالة استنفار قصوى لتعيين خليفة للمسلمين في ظروف صعبة ومضطربة، استغلها أهل بجاية بدورهم وأسالوا بها لعاب بني غانية لاستعادة مجد أسرتهم التليد في إفريقية، و لم لا في المغرب أيضا؟

ب- أحداث وأوضاع الأندلس:

كانت الأوضاع المضطربة في الأندلس تدفع ابن غانية في كل مرة للعودة إلى عبثه ببلاد المغرب الإسلامي فانشغال الخليفة الموحدي بالثورة من سنة 582 هـ/ 1186 م إلى 584 هـ/ 1188 م و كفه عن الجهاد بها فتح شهية الطامعين في كرسي الخلافة بالمغرب بعد معركة عمرة، وجعل النصارى يسارعون إلى استغلال هذه الفرصة المناسبة، ومنهم ابن الرنك - الريق- الذي عاد إلى سابق عهده في الهجوم على بلاد المسلمين واستطاع في سنة 585 هـ/ 1189م السيطرة على شلب، وأرسل الأذفونش- ألفونسو- بدوره سرياه إلى قرطبة وإشبيلية ليغيروا على بلاد المسلمين و يسلبوهم أموالهم، ومواشيهم في ظل غياب السلطة الموحدية التي تغافلت عن بلاد المسلمين بحكم الصراع مع بني غانية.

سار بعد هذا النجاح إلى طليطلة في سنة 583هـ/1188م مما جعل المنصور يتأهب للحركة إلى إشبيلية في سنة 586هـ/1189م أين نزلت قواته بها، سعيا منه للقضاء على ابن الرنك والحد من توسعاته غير أن المعادلة ستنقلب في قواعده الخلفية بإفريقية التي أصبحت مسرحا لقوات ابن غانية و قراقوش اللذين سارعا إلى استرجاعها مستغلين فرصة غياب الجيش الموحدي، الذي سوف لن يتمكن من القضاء على اعتداءاتهما المتكررة على نفزاوة بالرغم من وفاة علي بن غانية في سنة 584هـ/1188م صريعا بسهم طائش أصابه([1]) وتسلم أخوه يحي زمام القيادة بجرأة وشجاعة حافظ فيها على علاقاته مع حلفائه العرب وقراقوش.

لم يقتصر ذلك على ملك البرتغال بل تطاول ملك قشتالة ألفونسو الثامن على المنصور الموحدي و راسله برسالة دفعته إلى التحرك إلى الأندلس بقواته للوقوف في وجه تهديداته التي أضاقت المسلمين ألوانا شتى من العذاب و المهانة، فسار بجيش عرمرم إلى الأندلس و التقى به في حصن الأرك([2]) في 591 هـ/1195م لكنه لم يتسن له التعبير عن فرحته بسبب عبث ابن غانية في إفريقية مما جعل الخليفة يعود على عجل إلى المغرب ليقضي على ثورة بن غانية نهائيا لكنه توفى في سنة 595 هـ/1198م ([3]) دون أن يتمكن من إتمام

1: مجهول:الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص ص 155-159. التجاني:رحلة التجاني،تقديم حسني حسن عبد الوهاب، المطبعة الرسمية ،نشريات كتابة الدولة للمعارف، تونس،1958، ص162.

2 : حصن الأرك : حصن منيع قرب قلعة رباح و إليه تنسب تلك المعركة التي انتصر فيها المنصور في 591 هـ/1195م ،الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس،مكتبة لبنان، مصر،ط1975،1، ص 27.

3 : توفي في سنة 595 هـ ،ولقد أوصى قبل وفاته وصيته بالإهتمام باليتيمة (الأندلس) و الأيتام (أهل الجزيرة) حسب ما ورد في الحلل مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،تحقيق سهيل زكار،عبد القادر زمامة،دار الرشاد الحديثة، الدار البضاء، المغرب،ط1979،1، ص 160.

انتصاراته في الأندلس أو يقضي على ثورة بني غانية و تركت مهمتها كحمل ثقيل على عاتق وريثه محمد الناصر وهي الفرصة التي استغلها ابن غانية لتحقيق انتصاراته في الفترة ما بين سنة 597هـ-599هـ/ 1200-1203م ليشمل نفوذه كامل إفريقية تقريبا. مما دفع بالخليفة الجديد إلى اتخاذ خطوات حاسمة تمثلت الأولى في السيطرة على ميورقة والثانية بالزحف على إفريقية وانتداب الشيخ عبد الواحد بن أبي حفص ليخلفه في هذه الحرب التي أخرجته من مراكش لقيادة الجيوش بنفسه في سنة 601هـ/1204م([1]).

ج – ثورة الركراكي:

تمرد عبد الكريم الركراكي بالمهدية الذي تعرض للسجن ثم أطلق سراحه للوقوف في وجه العرب مما جعله يتمرد في سنة595هـ/1199م ضد السلطة الموحدية وينتصر عليها في منطقة حلق الوادي([2]) قرب قرطاجنة في السنة الموالية و ينهب تلك المناطق، لتكون هذه الثورة بصورة غير مباشرة عونا لـــيحي بن غانية الذي ازدادت قوته في هذه الآونة وارتأى على إثر ذلك والي إفريقية السيد أبو زيد أن يلجأ إلى خطة موادعة الركراكي، فأرسل له وفدا يذكره من خلاله بصلة القرابة التي تجمعهما، باعتباره من قبيلة كومية التي ظهر منها الخليفة عبد المؤمن، فامتثل لأمره كون تصرفاته كانت نابعة من استفزاز الشيخ أبو سعيد و أخوه له.

اتجه الركراكي بعد صفاء سريرته إلى ملاحقة يحي بن غانية،الذي هزمه في سنة597ه/1200م فتحصن بالمهدية مما دفع ابن غانية إلى طلب العون من أبي زيد الموحدي في تحالف غير معلن بين الطرفين فأمده بقطعتين بحريتين

---

1 : نفسه، ص 262. ابن عذاري: المصدر السابق، ص 243.

2 : انهزم هزيمة نكراء قرب قرطاجنة، و نهبت أمواله،التيجاني: المصدر السابق، ص 352.ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص196.

للقضاء على الركراكي وبمجرد نجاحه ضرب اتفاقه معه عرض الحائط وبذلك فإن أبازيد لم يدرك خطة ابن غانية الجهنمية في التحاف لضرب العدو المشترك.

د- وفاة الشيخ أبو محمد عبد الواحد:

زحف الخليفة الجديد الناصر بقواته على إفريقية في سنة 601هـ/1204م، مما جعل تحركات ابن غانية تتذبذب، وترغمه القوات الوافدة على الخروج من معاقله في تونس، قفصة، القيروان ثم جبل نفوسة، يعاقب في خطواته كل من يواجهه بقوات لم تكن متجانسة في تركيبتها، متوغلا في الصحراء التي لم يتعود عليها الموحدون ومنها سار إلى جبل دمر([1]) في 601هـ/1204م ، عندما علم بتعقب الخليفة الموحدي لآثاره والذي قسم قوات جيشه إلى قسمين قسم عرج به بنفسه على المهدية لمحاصرتها حتى تمكن منها بدك أسوارها بالمنجنيقات لحصانتها، وقسم أسند قيادته للشيخ عبد الواحد وأرسله لملاحقة غريمه، فأنزل به هزيمة نكراء في جبل تاجرا([2]) قرب قابس في ربيع الأول 602هـ/أكتوبر 1205م([3])، هذه المعركة الحاسمة لم تتجاوز مدتها ثلاث ساعات فقد فيها راية العباسيين التي كانت تظله بشرعيتها.

لم يترك الخليفة الناصر إفريقية في هذه الفترة إلا بعدما أدرك أن يحي بن غانية سوف لن يستطيع الرجوع إليها ولو مؤقتا، لأنه استعان بالشيخ أبو حفص الذي ولاه على رأس إفريقية في سنة 603هـ/1206م وفق شروط

---

1 : التجاني: المصدر السابق ، ص 257. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 197.

2 : تاجرا: قرب وادي مجسر حسب التجاني أما الحميري فيحددها غرب أحواز قابس في مكان يقال له لاقية.التجاني : المصدر السابق، ص 120. الحميري: المصدر السابق، ص 125.و هي غير تاجرا التي ينتمي إليها عبد المؤمن: البيذق: المصدر السابق، ص 56.

3 : التجاني:المصدرالسابق ، ص 120. الحميري: المصدرالسابق ، ص 125. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 249.

مسبقة ([1]) وبذلك ترك إفريقية في أيدي آمنة و رجع إلى مراكش مارا إليها عبر باجة في بداية شوال 604هـ/1207م، لكن ابن غانية لم يستسلم بل حاول استعمال عامل المباغتة، حيث هاجم قواته عند وادي الشلف، مستعينا بحلفائه العرب وبقبيلتي صنهاجة و زناتة([2])، إلا أنه انهزم في هذه المعركة التي دارت رحاها في مستهل ربيع الأول 604هـ/24 أكتوبر 1207م([3]) ليتجه بعد ذلك إلى الصحراء بمعية عرب الدواودة في هجوم ثان انهزم فيه بمنطقة شبرو([4]) بضواحي تبسة في نفس السنة المذكورة.

غير ابن غانية وجهته نحو الغرب يعيث فسادا في نواحيها كتيهرت وتلمسان وسجلماسة ولقد وقف الشيخ عبد الواحد في وجه كل محاولاته وهزمه مع العرب الذين كانوا يؤازرونه عند جبل نفوسة في سنة 606هـ/1209م([5])تلك الهزيمة التي دفعته إلى أعماق الصحراء وأبعدته عن إفريقية لفترة طويلة، التي سوف لن يعود إليها إلا بعد وفاة حاميها الشيخ عبد

---

1 : التجاني: المصدرالسابق ، ص 360.ابن خلدون: المصدرالسابق ،ج6 ، ص 278. القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط3، 1387ه، ص 131.الزركشي: المصدرالسابق، ص 18.

2 : يتركز الزناتيون في ما بين غدامس و السوس الأقصى، و القرى الجريدية و منهم البعض في جبال طرابلس، و البعض في جبال الأوراس، و بما أن الموحدين أخضعوهم بحد السيف فإنهم يمكنهم التحالف مع ابن غانية . ابن خلدون : المصدرالسابق ،ج7، ص ص 5-11 ، ص ص 73-76.

3 :ابن زرع هو الوحيد الذي يشير إلى هذه المعركة. ابن زرع: المصدر السابق، ص 233. ألفرد بال:المرجع السابق، ص 140.

4 : شبرو: بضواحي تبسة حسب الحميري. و ذكر ألفرد بال أنه من روافد وادي مجردة يسقي نواحي تبسة و أن منطقة عين شبرو التي تحمل اسمه توجد في الطريق الرابط ما بين تبسة وقسنطينة على بعد 20 كلم من تبسة. الحميري: المصدر السابق، ص 338.ألفرد بال:المرجع السابق،ص142.

5:ابن خلدون:المصدرالسابق،ص280. أحمدغزاوي:رسائل موحدية، مجموعة جديدة، ج1،كلية الآداب والعلوم الانسانية، القنيطرة، ط1، المغرب، 1995، الرسالة رقم 61، ص ص 151-253.

الواحد في سنة 618هـ/1221م([1]) أي على مدار 15 سنة من تاريخ وصول الشيخ عبد الواحد إلى إفريقية في 603هـ/1206م إلى 618هـ/1221م، حيث استتب الأمن بها.

عادت الحرب من جديد بعد وفاة الشيخ لأن ابن غانية سوف لن يفوت هذه الفرصة ليتطوف ببسكرة والزاب فينهزم في منطقة مجدول سنة 620هـ/1223م بعدما قدمت له قبيلة هوارة([2]) دعمها و لم تكن المعركة الأخيرة لأن ابن غانية سيستثمر من جديد في أوضاع القصر الموحدي الذي بدأت بصراعاته مرحلة ضعف الدولة الموحدية التي أثرت بدورها على أوضاع إفريقية بصراع في دواليب حكم ولاتها فجلب على نواحي قسنطينة، ودخل إلى بجاية في 623هـ/1226م([3])، ثم وصل إلى تادلس([4])،المتيجة، وملیانة، وتمكن من الانتصار على عبد الرحمن ابن منديل المغراوي ([5]) بالمتيجة حسب

---

1 . ابن قنفذ: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية،تحقيق الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر،تونس،1968. ص 105.

2 : قبيلة هوارة من البرانس، ينتمون إلى هوار. شاركوا بني غانية في حربهم. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص ص 140-145. ص 198.

3 : ابن خلدون: المصدر السابق ج6، ص 283. برانشفيك:تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13إلى نهاية القرن15،ج1،ترجمة حماد الساحلي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1988، ص 49.

4 : تادلس: أودلس: بحرية تبعد عن الجزائر بسبعين ميلا و أربعة أميال، مدينة حصينة، لها سور وديار بها فواكه رخيصة الأثمان. الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس(مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 160.

5 : المغراوي: عبد الرحمن بن منديل، تفرق ملكهم بعد انقراض ملوك آل خزر، نزل عبد الصمد بن محمد بن خزرون الزناتي إلى جبل الأوراس ثم رحل إلى شلف أين نزل على مغراوة فأصهروه، كانت لعبد الرحمن من أبنائه وقائع مع ابن غانية بنواحي شلف و متيجة قتل على يديه. ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص ص 66-67.

رواية ابن خلدون([1])، و دخل إلى الجزائر التي قتل بها ابن منديل صلبا ثم مثل بجثته حتى يكون عبرة لغيره.

مكنت هذه الانتصارات في المغرب الأوسط ابن غانية من العودة و بكل جرأة إلى هذه المناطق فجولته الأخيرة أكسبته القوة والثروة، و التي حتمت على والي إفريقية الجديد أبو محمد عبد الله الوقوف في وجه هجماته المتتالية، وبالفعل فإنه عزم أمره على ذلك وسار إلى أبّة([2])في 624هـ/1227م ليقضي على تمرد داخلي غذّته قبيلة هوارة، و تمكن من دحرها([3])حتى لا تكون عونا لابن غانية في هجماته على الموحدين، و بدأ من جديد بملاحقة عدوه فاسترجع منه بجاية ثم تتبعه إلى متيجة ومليانة إلا أنه توقف عن الفكرة و رجع إلى تونس في رمضان 624هـ/1227، بعدما علم بهروب ابن غانية نحو سجلماسة([4]). وتمكن أبو زكريا الحفصي لاحقا من مطاردته فأبعد شره إلى الصحراء شريدا في فيافيهاكالعقبة الكبرى، وسويقة بن مثكود وورقلة وغيرها إلى سنة 633هـ/1237م–1238م.

تحالفه لم يشمل فقط الأطياف السابقة الذكر بل عرف أيضا عناصر أخرى كقبيلة زناتة، وملك صقلية هذا الأخير الذي قدم له يد العون في بداية الثورة لإنقاذ مركز ملكه ميورقة من يد ابن الربرتير فلقد ذكرت بعض

---

1 : نفسه، ص 67.

2 : أبة: تقع بغربي الأربس، تبعد عن القيروان على نحو ثلاثة أيام، و على مدينة الأربس بستة أميال، يكثر بها الزعفران. البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،نشر البارون دي سالان،مكتبة أمريكا والشرق،باريس،1965، ص 53.

3 : اعتقل مشايخهم وأرسلهم إلى المهدية .ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 283. برانشفيك: المرجع السابق،ج 1، ص49.

4 : يرى ابن خلدون أنه انتقل إلى سجلماسة في هذه الرواية: و لو أنه يناقض نفسه فيذكر في موضع آخر منطقة فاس:" و لحق بنو غانية بفاس و معهم كافة جشم ورياح و لحق بهم جل قومهم من مسوفة و إخوانهم لمتونة من أطراف البقاع"، المصدر السابق،ج6، ص 283. ص ص 24.

الروايات العربية كرواية ابن عذاري([1])، و ابن خلدون([2])، مساعدته لعبد الله ابن غانية بجفن لكن بدون وجود أي إشارة إلى المكان الذي كانت تختفي فيه تلك السفن والتي صادفت تواجد الرحالة العربي ابن جبير في صقلية أثناء هذه الفترة حيث شاهد تأهب قوات بحرية كبيرة بهذه الجزيرة أثناء اندلاع ثورة بني غانية و ربما تكون قد دعمتهم حتى تخفف من ضغط الموحدين عليهم وتحد من توسعاتهم ([3])التي مكنتهم من الاستيلاء على أسطول بني غانية عند عودة بجاية لدولتهم في 19 صفر 581هـ/ 22 ماي 1185م وأفشلوا بهذا النجاح خطة ابن غانية القاضية بنقل الأسرى إلى جزيرة ميورقة.

تحالفه مع ملك صقلية أملته عليه الظروف التي جعلت سفير الموحدين ابن الربرتير يستغل موقف انتقال الموارقة إلى بجاية ليضرم الثورة في ميورقة ويعلن تبعية جزر البليار للموحدين في سنة 581هـ/ 1185م([4]) بعد استمالته للعناصر المسيحية التي كانت تعج بها جزر البليار والتي عزف غريمه عن اصطحابها معه في مغامرته التي تحرك فيها باسم الجهاد، فمشاركتهم له في الحرب قد تحرجه مع حلفائه العرب والأتراك الذين سيحاربون معه تحت رايته الإسلامية([5]).

---

1 : ابن عذاري: المصدر السابق، ص 184.

2 : ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 245.

3 :ذكر ابن جبير إستعداد الأسطول الصقلي بـ 300 بين الطرائد والمراكب قاصدة ميورقة أو إفريقيا .رحلة ابن جبير،دار التراث، بيروت،1968، ص ص276-277. عز الدين موسى: النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الشروق، ط1، 1983، ص 275.

4 : ابن عذارى: المصدر السابق، ص ص 183-184. ألفرد بال: المرجع السابق، ص ص 68-69.

5 : ألفرد بال : نفسه،ص 68.

2- اضفاء الشرعية على ثورته والدعوة للخلافة العباسية:

خطب ابن غانية للدولة العباسية للاستفادة من مساعداتها (فطرابلس قريبة من مصر، فالجهة الغربية كانت موحدية خالصة والشرقية كانت عباسية) مما يؤهله لأن يصبح حاكما شرعيا وليس قائا لعصابة هدفها النهب والسلب ،فأعلنت الخطبة للخليفة العباسي أحمد الناصر، بادر بها الإمام الفقيه أبو عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الاشبيلي ([1])أكثر علماء بجاية شهرة والذي يحض بزيارة كل من قصدها لمكانته، حيث قدم دعمه لعلي ابن غانية بمعية العالم عمارة بن يحى بن عمارة الشريف الحسني حيث مدحهم بقوله: " الحمد لله الذي أعاد الأمر إلى نصابه وأزاله من أيدي غصابه..."([2]) مما أثار حفيظة الموحدين.

فبمجرد استيلائه على بجاية ، أرسل خليفته ابنه وكاتبه عبد البر بن فرسان([3]) إلى الخليفة الناصر ابن المستضيئ ([4]) ليضفي على انتصاراته طابع الشرعية،أين مثله كاتبه في بلاط الخليفة أحسن تمثيل، إذ تذكر إحدى المراسلات الديوانية (ديوان الخليفة) على أنه ورد عليها في سنة 596هـ/1199م رسالة من ابن غانية منها:"... ورد إلى الديوان العزيز

---

1 :قدم إلى بجاية من إشبيلة في سنة 550هـ له مؤلفات منها الأحكام الكبرى والصغرى. الغبريني: المصدر السابق ، ص ص 73-75.

2 : من مواليد القرن السادس، عالم، أديب، تولى القضاء بنواحي بجاية له مؤلفات في علم الفرائض. نفسه، ص ص 67-72.

3 : مثل ابن غانية في بغداد.. توفي متأثرا بجراحه في سنة 612ه/1215م ابن الخطيب : الإحاطة، في أخبار غرناطة،ج3، تحقيق أحمد مختار العبادي وإبراهيم الكتاني،نشر وتوزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب،1964، ص 575.

4 : الناصر المستضيئ: يقال أنه هو الذي كاتب التتر و أطمعهم في البلاد، توفي في سنة 622ه/1225م. الشيخ محمد الخضري: الدولة العباسية، دار المعرفة، بيروت، 1998، ص ص 393-394.

رسول يحي بن غانية المايرقي([1])"، و الذي كان يدعو إلى الدولة العباسية، بعد مراسلة صلاح الدين الأيوبي لقراقوش و تقديمه يد العون له([2]).

3- الأساليب الحربية: شملت إلى جانب التحالفات واستغلال الظروف مايلي:

أ- التحالفات:

استعان فيها ببقايا الحماديين وبالعرب الهلالية أعداء الدولة الموحدية، والأغزاز(الأتراك):

1- التحالف مع الحماديين :

كان بنو غانية على اتصال دائم ببجاية و بسكانها الصنهاجيين أبناء عمومتهم، حيث كانوا يترددون عليها باعتبارها كانت بمثابة سوق لهم يبيعون فيها سباياهم الذين كانوا يجلبونهم معهم من غزواتهم لبلاد النصارى، حسب رواية الغبريني التالية :"... و كانت أجفان إسحاق بن غانية تصل إلى بجاية من ميورقة... ليبيع ما تجمعه من أسرى حروبه البحرية في سوق الرقيق ببجاية... بحومة المذبح من جهة ربضها..." ([3]). وكانوا يعرفون ما يجري ببجاية و طبيعة العلاقة التي تربطهم بالموحدين، حيث كانوا يتحينون الفرص للرد عليهم فهم الذين دمّروا قلعتهم في بداية تكوين دولتهم و بذلك أبدلوا عزهم ذلاّ

1 : ابن الساعي: الجامع المختصر، تحقيق مصطفى جواد ، المطبعة السريانية الكاثوليكية، 1938، ص 211

2 : أنظر ما جاء في التذكرة التي أرسلها صلاح الدين إلى الخليفة المستضيئ يخبره فيها بفتح مناطق في قفصة و توزر و تمت فيها الخطبة له. عبد الهادي التازي:" سفارة السلطان صلاح الدين إلى الخليفة أبي يعقوب"، مجلة الأكاديمية العدد 11 مطبوعات المملكة المغربية 1994، ص 109.

3 : الغبريني : المصدر السابق ، ص 77.

لاستئثارهم بالمناصب العليا ممّا جعل علية القوم في الدولة المرابطية في المرتبة الثانية([1]).

هذه الوضعية كانت تدعو سكان بجاية إلى محاولة الإنتقام من الموحدين و هو ما دفعهم إلى استمالة بنو غانية حسب ما ذكر المراكشي في روايته :"... و قصد مدينة بجاية (ابن غانية) حين راسله جماعة من أعيانها –على ما يقال– يدعونه إلى أن يملّكوه، و لولا ذلك لم يجسر على الخروج..."([2]) لذلك اختار بنو غانية مدينة بجاية ([3])كقاعدة لانطلاق مغامرتهم العسكرية في إفريقية.

بلغت قوة الأسطول الميورقي (جزر البليار) 32 سفينة ([4]) بما فيها أسطول ابن الربرتير، وحوالي مائتي فارس وأربعة آلاف من المشاة ليصل إلى بجاية حيث أرسل جماعة من المرابطين ليكتشفوا أوضاع المدينة عن كثب بتقديم زورق استوثقوا منه الأخبار ليتسنى لهم تنفيذ مخططهم ولقد ساعدهم على ذلك بعض الحماديين الذين سهلوا لهم مهمة الدخول إلى بجاية ([5]) فتمكنوا من مباغتة سكانها والدخول إلى مدينتهم أثناء قيا مهم بصلاة الجمعة، (وهو نفس الأسلوب الذي اتبعه ابن الربرتير في ميورقة بعد هروبه من السجن) أين كانت

---

1 : كقتل إسحاق بن تاشفين رغم لصغر سنه و باعوهم كالعبيد و لم تسلم منهم سوى الأميرة. مجهول: الحلل، المصدر السابق، ص 114.

2 : المراكشي : المصدر السابق ، ص 225. مجهول: مجهول:مجموع رسائل موحدية من انشاء الدولة المؤمنية، اصدار ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، رباط الفتح، المطبعة الاقتصادية، المغرب،1941، الرسالة رقم 29، ص ص 168-180.

3 : بجاية: قاعدة الغرب الأوسط، رومانية البناء، تم تعميرها بعد خراب القلعة التي بناها حماد بن بلكين،فتحها عبد المؤمن في سنة 547هـ/1152م. الإدريسي : المصدر السابق، ص 161. . رشيد بورويبة : الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977، ص ص 104- 105.

4 : ابن خلدون: المصدر السابق، ص 244. ألفرد بل: المرجع السابق، ص 41.

5 : المراكشي: المصدر السابق، ص 223.مجهول:، رسائل، المصدر السابق، ص ص 168-180.

الأبواب مفتوحة لأنهم لم يتوقعوا مثل هذا الهجوم المباغت من أبناء غانية باعتبارهم كانوا متعودين على رسو السفن الميورقية في بجاية. و لقد أكد ابن عذاري فكرة دخول الميورقيين إلى بجاية بصورة مباغتة:"...فأشرف عليهم (البحارة الغزاة) ...أهل البلد من سألهم عن شأنهم، و ما اضطرهم إلى الهجوم من غير استئذانهم، فأخبروا أنهم غزاة يطلبون مرافق السواحل وهم بين مخادع و مخاتل..." ([1]).

دخل بنو غانية من باب السور إلى قصبة البلد على حين غرة من أهلها في وقت قلت فيه الحركة باعتبار أن دخولهم تزامن مع أداء أهلها للصلاة فكانت المدينة شبه خالية، أبوابها مفتوحة، والأكثر من ذلك أن واليها أبو الربيع سليمان ابن عم الخليفة عبد المؤمن كان بنفسه خارج ولايته لقضاء أمور خاصة به ([2]).

إن هذه الصورة توضح أن بنو غانية كانوا على اطلاع بكل ما يجري في بجاية وبدقة متناهية، مكنتهم من تحقيق نجاح باهر في بداية مغامرتهم بعاصمة الحماديين. من هنا يتضح حسن اختيار بنو غانية لبداية ثورتهم واستغلالهم للظروف بشكل جيد، من حيث الزمان والمكان الذي قد يساعدهم في تحقيق حلم أجدادهم، فكانت بجاية هي نقطة البداية و منها ساروا إلى إفريقية لبعدها عن مركز الخلافة، ولكونها كانت دوما مركزا للقلاقل، ضف إلى ذلك

1 : ابن عذاري: المصدر السابق، ص ص 175-176.

2 : تولى بجاية إلى غاية 580هـ ثم أصبح واليا على تلمسان، توفي في سنة 604ه وكان شاعرا وأديبا وله كتاتب مختصر الأغاني. المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، ص ص 105-110.

تأكدهم من الدعم الذي سيقدمه لهم أبناء عمومتهم انتقاما من السلطة الموحدية التي دمرت قلعتهم في 547هـ/ 1152م([1]).

ترك علي بن غانية بجاية وعلى رأسها أخوه يحي ومولاه رشيد الرومي أو المسيحي وبدأ باقتفاء أثر حاكم بجاية السيد أبو الربيع الذي أعاد أدراجه إلى بجاية مع قوة من الموحدين وانضم إليه والي قلعة بني حماد في بعض فرسان الموحدين فهو بدوره أيضا كان متجها إلى مراكش وتمكن بمعيته من جمع قوة قدرت بألف مقاتل من العرب وثلاثمائة فارس من الموحدين ([2]) لمجابهة قوات علي بن غانية لتكون هذه القوة من قلعة بني حماد هي الأولى التي جمعت صفوف الموحدين للوقوف في وجه المعتدين.

تطورت ساحة الحرب ليصبح الصراع مرابطي موحدي، عربي بتدخل القوات العربية إلى جانب الموحدين، في بادئ الأمر ثم إلى جانب علي بن غانية بعدما تمكن من اغرائهم واستمالتهم له ليصبحوا يده الضاربة التي يوجهها إلى الموحدين وبفضلهم تغيرت موازين القوى لصالحه فانتصر على الموحدين في مواقع كثيرة. لأنه و بمجرد ما التقت قواتهم مع قواته و كشفت الحرب عن أسرارها حتى انحازوا (العرب) إلى ابن غانية ممّا أدى إلى انهزام السيد أبو الربيع في موقع يعرف بياميلول([3]).

1: George Marçais : « Les Arabes en Berberie du XI aux XIV Siecles », Recueil des notices et memoires, societe Arche ogique, Constanine, imprimerie Braham, 1914 ,P190.

2 : ابن الأثير: الكامل في تاريخ، ج 11، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1966، ص 507.

3 : ياميلول: قرب بجاية حسب ابن خلدون. في حين أن هويسي ميرندا يشير إلى أنها قرب متيجة ابن خلدون،المصدر السابق،ج6،ص192. Ambrosio Huici Miranda : Politica del imprerio Al Mohade, T1 Insit général Franco, d'Estudiose investigacion Hispano Arabe, Ed Marroqui, Tetuan, 1956, P 323

رغم مساعدة والي قلعة بني حماد له إلا أنه انهزم و استباح ابن غانية أمواله وعياله وأجبره على الفرار صوب تلمسان([1]) يجر أذيال الخيبة بعدما خذله العرب الذين منحهم الملثم ما نهبه من مخازن بجاية، انتقاما من الموحدين الذين هزم خليفتهم عبد المؤمن والعرب وغنم منهم الأموال، والأولاد، والنساء، و لم ينالهم عفوه وصفحه إلا بعد مراسلة زعماء القبائل العربية له، فاستجاب لهم وأدخلهم تحت راية الدولة الموحدية في سنة 547هـ/1052م ([2])،وجنّدهم في صفوف جيشه ضد النصارى في الأندلس وأقطعهم بعض المناطق فلم يعد لهم أي خطر يذكر بالمنطقة إلى غاية ظهور ابن غانية الذي انضمت إليه بعض القبائل وفي مقدمتها قبائل رياح والأثيح وجشم كما أنها لن تفوت لهم خداعها في الفدية التي أفدى بها الخليفة أبو يعقوب إخوته إلى جانب الكثير من الصنهاجيين.

هذه التطورات جعلت الخليفة المنصور يرسل جيشا جرارا بلغت قوته عشرون ألف فارس وقصد حسب ابن الأثير الاقتصار على هذا العدد لقلة القوت في البلاد من جراء ما مسها من التخريب[(3)] لكنه هذه المرة لم يصطحب معه من القبائل العربية إلا القليل من أشياخ بني رياح خوفا من غدرهم وخذلانهم له. وأرسل إليهم عند انتقاله إلى إفريقية العرب إنذارا يدعوهم فيه

---

1 :تلمسان بدأ بناء سورها السيد موسى بن يوسف بن عبد المؤمن في 566هـ و أكمل بناءه السيد أبو الحسن بن السيد أبو حفص في 581ه. يحي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم و تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص 91.

2 : بعد فتح بجاية اتجه عبد المؤمن إلى قلعة بني حماد و قتل جوشن مما دفع العرب إلى الإتحاد (من زغبة، رياح، الأثبج) واتجهوا إلى سطيف رافضين مساندة ملك صقلية لهم. فانهزموا في جبل القرن 574هـ/1052م و هي الهزيمة التي أتت عليهم فطلبوا الصفح من عبد المؤمن فاستجاب لهم. ابن الأثير: المصدر السابق، ج11، ص ص 185-186. ابن خلدون عبد الرحمن: المصدر السابق، ج6، ص 237.

3 : ابن الأثير: المصدر السابق،ج 11 ، ص 521 .

إلى الدخول في طاعته وطاعة الدولة الموحدية ([1])، لكنهم رفضوا الإستجابة لإنذاره فأرسل إليهم سرية من جنوده شنّت عليهم هجوما مباغتا أربك صفوفهم، وانتصر عليهم مع حلفائهم في الحمة وقفصة واستعادت قواته شواطئ بجاية والجزائر في ظل توغل ابن غانية في الصحراء و لم ينس المنصور ما فعله العرب بإحدى مناطق إمبراطوريته ، فعرج على مواطنهم وأثخن فيهم القتل، و إستولى على أموالهم و نفاهم إلى المغرب فأنزل عاصم([2]) وجشم بتامسنا([3]) و رياح بمنطقة الهبط([4]).

رجع الخليفة إلى تونس و منها سار إلى المهدية، تيهرت و تلمسان ثم التحق بمقر ملكه بمراكش سنة 584 ه/1188م .

لقد ساعدت العرب في هزيمة الموحدين السابقة الذكر قرب قسنطينة رغم قوتهم إذ يذكر المراكشي في روايته عن استعدادات الجيش الموحدي ما يلي أنه:"... لم أر لهم جيشا أضخم منه، ولا أكثر منه سلاحا، ولا أحسن عدة، و كان فيه أعيان الموحدين و أشياخهم جملة وافرة، فسار أبو الحسن هذا بجيشه حتى التقى هو و الميرقيون فيما بين بجاية و قسطنطينية، فانهزم الموحدون..." ([5]) ، و لقد دعّم ابن عذاري هذه الرواية في ذكره لتلك الأحداث لكنه أكد على أن هزيمة السيد أبو الحسن لم تكن لتحدث لولا تعاون العرب مع ابن غانية

---

1 :مجهول: رسائل، المصدر السابق، الرسالة رقم 30، ص 186.

2 : عاصم : من الأثبج من هلال بن عامر كانت لهم عزة و عدد و قوة عاقبهم المنصور الموحدي و أنزلهم بتامنسا بالمغرب لوقوفهم إلى جانب ابن غانية. ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6 ،ص 27.

3 :تامسنا: إقليم تابع لمملكة فاس ، يمتد من نهر أمر الربيع غربا إلى نهر بورقراق شرقا و جبال الأطلس جنوبا و البحر المحيط شمالا. ليون الإفريقي: وصف إفريقيا، ج1، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي،ط2، بيروت،1983، ص ص 194 -196 .

4 : الهبط : توجد جنوب تيطوان ما بين القصر الكبير و بلاد غمارة. ألفرد بال: المرجع السابق، هامش رقم2، ص 87.

5 : يقصد قسنطينة. المراكشي:المصدر السابق، ص 259.

وخيانتهم للموحدين بكشف عورات جيشهم، ونهبهم لمحلة السيد أبو الحسن التي نزل بها بظاهر قسنطينة([1]) مماجر عليهم نقمة الخليفة.

لسنوات والحرب سجال عاد فيها الخليفة الناصر في سنة 601هـ/1204م ، إلى القيروان و منها إلى قفصة و حتى يأمن غدر الأعراب هذه المرة أخذ البعض منهم كرهائن، فتقلباتهم قد تكون سببا في هزيمته كما فعلوا مع من سبقه، و تمكن من هزم ابن غانية في منطقة الشلف التي استعان فيها الملثم بالعرب وبقبيلتي صنهاجة و زناتة، في 1 ربيع الأول 604هـ/24 أكتوبر 1207م ليتجه بعد ذلك إلى الصحراء لعله يستطيع كسب حلفاء جدد يمكنونه من إستعادة ممتلكاته الضائعة في الشمال، فاستمال إليه عرب الدواودة([2]) وخاصة مسعود البلط الذي شارك في ثورة قفصة سنة 576هـ/1180م التي قمعها الخليفة المنصور وعفا بعدها عليه، لكنه عاد بظهور ابن غانية واشترك مع غيره من الأعراب في صفوف جيش علي بن غانية في بداية ثورته، والتي دفعت بالخليفة إلى نفيهم إلى الهبط و كان البلط من بينهم قبل فراره وعودته لحليفه يحي بن غانية في معركته مع الركراكي بالمهدية([3]).

---

1 : لم أجد ما يشير إلى مكان وقوعها واتفق على أنها بظاهر قسنطينة،ابن عذاري: المصدر السابق ، ص ص 237-238.ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6،ص 196.

2 : الدواودة :من أبناء داوود بن مرداس بن رياح، و كان رئيس هؤلاء الدواودة في عهد الموحدين هو مسعود بن البلط و لقد استعان به ابن غانية و بقومه، ابن خلدون : المصدر السابق ،ج6، ص 35.

3 : يذكر ألفرد بال أنه كان حليف عبد الكريم الركراكي و أنه تخلى عنه في ساحة المعركة عند قصور لالا التي وضحها التجاني لكني لم أعثر على هذا التحالف الذي ذكره عند التجاني، و انضم إلى ابن غانية .التجاني: المصدر السابق ، ص 350. ألفرد بال : المرجع السابق، ص 127.

أثناء انتقاله نحو المناطق الغربية راهن ابن غانية على حلفائه العرب الذين كانوا يؤازرونه من قبائل رياح([1])، وزغب، وعوف([2])، و نفاث([3])، فخذلته قبائل عوف وسليم في جبل نفوسة فانهزم في معركة 606هـ/1209م([4])، وفقد فيها عناصر قيادية في صفوف جيشه كعبد الله بن محمد بن مسعود البلط ابن سلطان شيخ الدواودة، و ابن عمه حركات بن أبي الشيخ، ومحمد بن الغازي وجران بن ويغزن كبير مغراوة([5]).

لم تقتصر قوات ابن غانية المجتمعة على الملثمين و الأعراب فقط، بل تذكر الرسائل الموحدية أيضا انضمام الأعاجم إليه:"... الأعراب و أحلافها الأعاجم..."([6]) ليحاول بعدها استمالة قبيلة دباب بمنطقة الزاب، لكن الشيخ عبد الواحد وقف لهم بالمرصاد لسنوات طويلة بعد نفيه لجموعهم نحو تونس لمراقبتهم عن كثب.

3- الأتراك(قراقوش):

بعدما خاب أمل ابن غانية في الاستيلاء على قسنطينة كقاعدة حصينة يمكنها أن تحمي ظهره من غدر الموحدين له، الذين تمكنوا من استعادة بجاية من يده بعد سبعة أشهر من خضوعها له، وكان عليه حيال ذلك أن يجد ملاذا يلجأ

---

1 : الحميري: المصدر السابق ، ص 604. ابن خلدون: المصدر السابق ، ج6، ص 280 .

2 : عوف: ابن بهثة بن سليم مواطنهم من وادي قابس إلى أرض بونة. ابن خلدون: المصدرالسابق، ج6، ص 74.

3 : نفاث: من بطون جذام، ذكرهم عند الحديث عن قبائل بني رياح. نفسه، ص 36

4 : نفسه، ص 280. ألفرد بال: المرجع السابق، ص ص 150-151. أحمد غزاوي: رسائل، المصدر السابق، رقم 61، ص ص 151-253.

5 : الهزيمة كانت نكراء فقد فيها ابن غانية الكثير من جنده و من بينهم محمد بن الغازي بن غانية. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص ص 197-280. الحميري: المصدر السابق، ص 604.

6 : ربما يقصد من الأعاجم الأتراك فلقد سبق لابن غانية أن زحف على قراقوش و أخذ من قواته 100 فارس. التجاني: المصدر السابق، ص 147. غزاوي: امصدر السابق، ص ص 251-253.

إليه فكانت قبلته طرابلس، التي كان يتحصن بها قراقوش الأرمني [1] و من هنا يتضح أن حلفاء[2] قراقوش كانوا ضد النظام الموحدي مما يدل على أن علي بن غانية كان على دراية تامة بمجريات الأحداث في إفريقية، ممّا جعله يعمل جاهدا على استمالتهم ليكونوا عونا له، و إلا فبماذا يفسر تعاون أهل قفصة معه بعدما أخضعهم يوسف بن عبد المؤمن في سنة 576هـ/1180م([3])، و لقد ظلّوا على ولائهم إلى غاية 581هـ/1185م إذ يذكر صاحب الإستبصار ذلك :"...فمرّ عليهم الشقي الميورقي (علي بن غانية) ...فأدخلوه البلد و ملكوه..."([4]) باعتباره من بقايا الدولة المرابطية و لقد تم توضيح ذلك سابقا، ووصل بهم الأمر إلى منحه لقب أمير المسلمين([5]) و يذكر البعض أنه راسل قراقوش يدعوهم إليه فيذكر :"...فنفذوا إليها رسولا وقالوا له إننا قوم من بني

---

1 : قراقوش الأرمني: كان مملوكا لتقي الدين عمر بن نجم الدين أيوب، و أثناء حدوث وحشة بين تقي الدين وصلاح الدين الأيوبي في سنة 568هـ/1172م أشار تقي الدين إلى أنه سيتوجه إلى بلاد المغرب، لكنه تراجع عن فكرته التي اختمرت في ذهن جنده و من بينهم قراقوش-قراقش- الأرمني من الأغزار. شارك في معركة قفصة ومع ابن غانية.التجاني : المصدر السابق، ص 111.ابن الأثير: المصدر السابق ،ج11، ص 389.ابن خلكان : المصدر السابق،ج3، ،ص 254.ابن خلدون: المصدر السابق،ج5، ص 283.المقديسي: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين،ج1، القسم الثاني،تحقيق محمد حلمي محمد، وآخرون،المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1962،ص ص 547-548.

2 : إبراهيم بن قراتكين: من الأغزار جاء مع قراقوش إلى إفريقية كان يلقب بسلحدار المعظمي قتل عند استلاء المنصور على قفصة في سنة 583هـ. التجاني: المصدر السابق، ص ص 138-139.ابن خلدون : المصدر السابق ،ج6، ص 194.ألفرد بال: المرجع السابق، ص 83.

3 : هرباش: المرجع السابق، ص ص 50-53.

4 : مجهول: المصدر السابق،ص 151.

5 : ابن الأثير: المصدر السابق، ج11، ص 520.

العباس ونريد دولتهم ونحن نريد أن نكون وإياك مجتمعين... "([1]) ، فاستجاب لهم وأمدهم بالعساكر والأموال ليكونوا له عونا في تلك المناطق الواسعة من بلاد الجريد، و لم يلبث أن توسعت دائرة مناصريه من العرب الذين أجزل لهم العطاء بأموال جمة([2]).

استفحل خطر علي بن غانية الذي سيطر على كامل بلاد الجريد مع حلفائه الجدد من القبائل العربية، وقراقوش الأرمني، و لم يبق من إفريقية خارج دائرته سوى مدينتي المهدية، وتونس، فعاث في البلاد فسادا مما دفع بالموحدين إلى ضرورة توحيد قواهم لحسم دائه، وقطع دابره، فبدأت استعدادات جيشهم حثيثة من مراكش لتنتقل إلى تونس في شوال 582هـ/17 ديسمبر 1186م[(3)]، فتقدم يد العون لسكانها الذين بلغت معاناتهم أقصى درجاتها سلبت منهم فيها حتى ملابسهم[(4)]، ممّا جعل الخليفة المنصور يرسل جيشا جرارا بلغت قوته عشرون ألف فارس ([5]) لكنه هذه المرة لم يصطحب معه من القبائل العربية إلا القليل من أشياخ بني رياح خوفا من غدرهم وخذلانهم له([6]).

أمام هذا التطور اضطر علي بن غانية إلى التراجع نحو الجنوب للإحتماء بصحراء الجريد التونسي، بعدما فشل في الدخول إلى تونس التي استقبلت ستة

---

1 : محمد تقي الدين عمر:مضمار الحقائق و سر الخلائق، ج1، تحقيق حسن حبشي، دار النشر عالم الكتب، القاهرة(د ت)، ص229. سيسالم: جزر الأندلس المنسية، التاريخ الإسلامي لجزر البليار،ط1،دار العلم للملايين، بيروت،لبنان،1984، ص 366

2 : محمد تقي الدين عمر:المصدر السابق، ص229،

3 : ذكر ابن زرع وابن عذاري نفس السنة سنة 582ه: روض القرطاس، أما ابن خلدون فلقد " ذكر تاريخين 582 ثم 588ابن زرع: المصدر السابق،ص218.ابن عذاري:المصدر السابق،ص186. ابن خلدون: المصدر السابق،ج6 ،ص 245.ص196.

4 : التجاني: المصدر السابق ، ص 14.

5 : ابن الأثير: المصدر السابق،ج 11 ، ص 521 .

6 : ابن عذاري: المصدر السابق ، ص 186.

آلاف فارس يتقدمهم الخليفة المنصور الذي توجه إلى قفصة ليلتقي بجموع علي بن غانية في معركة حامية الوطيس بمنطقة عمرة([1])في 15 ربيع الأول سنة 583 هـ/25 ماي 1187م التي انهزم فيها الموحدون هزيمة نكراء ومثل بقتلاهم على باب قفصة.

هذه الهزيمة دفعت الخليفة المنصور إلى قيادة الجيش بنفسه فترك مدينة تونس تحت إمرة أخيه أبو إسحاق و لم يشرك أحدا في تحديد خطة هجومه على بني غانيه بل ميّز جيوشه، و استبد برأيه، و اتجه إلى رادس([2]) بالقرب من الحامة- الحمة- ([3])، أين أرسل إلى العرب إنذارا يدعوهم فيه إلى الدخول في طاعته وطاعة الدولة الموحدية ([4])، لكنهم رفضوا الاستجابة لإنذاره فأرسل إليهم سرية من جنوده شنّت عليهم هجوما مباغتا أربك صفوفهم، فكانت الفوضى هي سيدة الموقف في معسكرهم ممّا سهل على الموحدين مهمتهم فانتصروا على بني غانية و حلفائهم و قتلوا من أتباعهم خلقا كثيراً، بينما لاذ كل من قراقوش وعلي بن غانية بالفرار باتجاه توزر في 09 شعبان 583هـ/ أكتوبر 1187م.

لم تكتف القوات الموحدية بهزم علي بن غانية في حامة مطماطة بل سارعت قواتهم إلى ملاحقته، لكنهم سرعان ما تخلوا عن هذه العملية، ثم إتجه

---

1 : عمرة : فحص بأحوار قفصة كانت فيه وقيعة عظيمة على الموحدين في 583 هـ : الحميري : المصدر السابق ، ص ص 414-415.

2 : رادس : بتونس، إفتتحها حسان بن النعمان عند دخوله إلى إفريقية و هي بجنوب شرق تونس، ذكر القيرواني: أن علماء المشرق كتبوا إلى أهل إفريقية يذكرونهم بالثبات" من رابط عنا يوما برادس حججنا عنه حجة ". القيرواني: المصدر السابق، ص ص 09-10.

3 : الحامة –الحمة- : اختلفت طريقة كتابتها (دتقيوس-دقيوس –حامة مطماطة). الإدريسي: المصدر السابق ، ص 177. المراكشي: المصدر السابق،ص 227. التجاني: المصدر السابق، ص ص 134-135. الحميري: المصدر السابق، ص 201.

4 : مجهول : رسائل موحدية، المصدر السابق، رقم 30 ، ص 186.

الخليفة بعد ذلك إلى قابس في 10 شعبان 583هـ/1187م التي تحصن بها قراقوش مع عائلته، بعدما أخذ كل إحتياطاته من زاد و مؤن، فحاصرهم الموحدون برا وبحرا بقصبة العروسين([1]) لمدة يومين فاستسلموا، وهو الأمر الذي دفع بالأهالي إلى طلب الآمان الذي استجاب له الموحدون و تم على إثر ذلك نقل أسرة قراقوش إلى مراكش([2]).

من انتصار قابس سار الخليفة المنصور إلى توزر التي أنقذها من قبضة بني غانية و منها اتجه إلى قفصة ليحاصرها مدة ثلاثة أشهر([3])، هذا الحصار الطويل الذي جعله يلجأ إلى استعمال المنجنيقات والآلات التي أحاطت بالمدينة من كل جهاتها، ورغم ذلك فإن المدينة الحصينة صمدت في وجه الموحدين فما كان منهم سوى اللجوء إلى ردم الخندق الذي يقع في الجهة المقابلة لسور المدينة، وصنع برج عال له سبع طبقات تمّ شحنه بالرماة و الرجال والأسلحة ليتمكنوا من ذلك السور الذي كان يحمي المدينة، ورغم ذلك إلا أن ابن غانية ومن معه استطاعوا صدّ الهجمات الموحدية، وألقوا عليهم الحجارة ليجبروهم على

---

1 : قصبة العروسين: تتركز بالقرب من مسجد المدينة بنيت طرف أسرة بني جامع إذ ينسب هذا القصر إلى رشيد بن مدافع حسب رواية التجاني الذي وقف على حجر كتب عليه اسم الأمير المذكور و الذي بني في رجب سنة 500 هـ لكن هذه القضية تم تخريبها و للعلم فإنه يوجد قصر يحمل هذا الاسم بقلعة بني حماد و خرب أيضا ذكره شاعر صنهاجي: " أن العروسين لا رسم و لا ظل: فانظر ترى ليس إلا السهل و الجبل. التجاني : المصدر السابق ، ص 34 . رشيد بورويبة: المرجع السابق ،ص70.

2 : يشير التجاني إلى تحصن أهل قراقوش بقصبة العروسين و استسلامهم بعد يومين: التجاني: المصدر السابق، ص 94.و هي نفس الرواية التي ذكرها ابن خلدون في: العبر، ج6 ،ص 194. ليناقض نفسه في رواية أخرى ص 245. و لقد فصلت الرسائل الموحدية في ذلك مما يؤكد رواية التجاني . مجهول: رسائل، المصدر السابق، رقم 30، ص ص 180-191.

3 : يشير ابن عذاري إلى تاريخ شعبان 583 هـ و هو ما يتناقض مع الأحداث إذ تشير الرسائل الموحدية رقم 32 إلى أن البشرى التي أرسلت إلى السكان كانت في 13 ذي القعدة 583 هـ/ 1188م، فمن شعبان إلى ذي القعدة نجد مدة الحصار. ابن عذاري : المصدر السابق ، ص 193 . مجهول: رسائل، المصدر السابق،رقم 31، ص 199 .ألفرد بال: المرجع السابق، ص 82.

التراجع إلى الوراء، فأعادوا الكرة من جديد باستعمال برج مصنوع ومنجنيقات أضرمت النار في برج ابن زواج ([1]).

أجبر هذا الهجوم الكاسح سكان قفصة في الأخير على الاستسلام وطلب الأمان الذي منحهم إياه الخليفة الموحدي، وتم تمييزهم من غيرهم ([2])أطفالا وشيوخا ونساء، ليشملهم عفوه فأمّنهم([3])على أملاكهم التي بقيت تسير بحكم المساقاة([4])،بينما كان مصير الغرباء عن البلد القتل حيث قتلت منهم أعدادا كثيرة ذبحا من بينهم إبراهيم بن فراتكين ([5])، وأمر الخليفة المنصور بهدم سور تلك المدينة و قطع نخيلها([6])حيث دامت عملية الهدم يومين كاملين لعظمة بنائه في 13 ذي القعدة 583هـ/1188م([7])، و كانت هذه العملية المنظمة التي أشرف عليها الخليفة الموحدي بنفسه وراء اندفاع قراقوش نحو

---

1 : برج عال كان من أعظم البناءات التي تميز هذه المدينة و لقد هدمت و لم يبق منه سوى هذا البرج، مجهول: الإستبصار، المصدر السابق ،ص ص 151-152. مجهول: رسائل، المصدر السابق،رقم 30، ص ص 199 –210.

2 : استعمل ابن تومرت هذه العملية سابقا ليميز من يتعاطف معه من غيره: البيذق: المصدر السابق، ص78.

3 : مجهول: رسائل، المصدر السابق، رقم 31، ص ص 199- 210.

4 : ابن الشماع : المصدر السابق، ص 10. التجاني: المصدر السابق ، ص 138. الونشريسي: المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية الأندلس و المغرب، ج2، محمد حجي و آخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981، ص 155.

5 : يشير المراكشي إلى عملية الذبح، المصدر السابق، ص ص 227-228. و في الرسائل الموحدية يذكر الكاتب تأمين الأغزاز و أتباعهم وجميع أهل قفصة و استثنى الميورقيين و هو ما ذكره ابن الأثير، أما التجاني و ابن خلدون فيشيران إلى قتل الغرباء ذبحا و من بينهم فراتكين. مجهول:رسائل، المصدر السابق ، رقم 32، ص ص199-210 .ابن الأثير: المصدر السابق، ج11، ص 522. التجاني: المصدر السابق، ص ص 138-139.ابن خلدون :المصدر السابق ، ج6 ،ص 194. ألفرد بال: بنو غانية، ص 83.

6 : أقدم الموحدون على قطع ألف نخلة في اليوم. التجاني: المصدر السابق، ص 139.

7 : مجهول : الإستبصار، المصدر السابق، ص ص 151-152 . التجاني : المصدر السابق،ص 139..

الإستسلام، فراسل الخليفة مبدياً طاعته وهذا يعني أن حليف علي بن غانية الأول قد تم التخلص منه ولو مؤقتا بإعلان طاعته، وهي العملية التي شملت مناطق عديدة أعلنت بدورها إستسلامها تحت وقع الخوف.

بعد تحقيق الخليفة الموحدي لهذا الإنتصار الساحق في قفصة إستسلمت له كل من نفزاوة([1])، وقسطيلة، وتقيوس([2])، والحمة، ونفطة([3])، لتتوالى إنتصارات الموحدين بداخل إفريقية و خارجها، إستعمل فيها الخليفة المنصور كل طاقاته العسكرية البرية منها والبحرية، أين تمكنت قواته البرية من الدخول إلى قفصة رغم حصانتها ومناعتها وطول مدة حصارها وهو نفس الأمر الذي قامت به القوات البحرية التي إستعادت شواطئ بجاية، وجزائر بني مزغنة، وأبحرت إلى جزيرة يابسة التي إفتتحها قائد الأسطول الموحدي أبو عباس الصقلي في 583 هـ/ 1188م([4]).

أعلن قراقوش ولاءه للسلطة الموحدية، كما سبق الذكر برسالة وردت على المنصور الموحدي أثناء تواجده بتوزر في 583هـ/ 1187م([5]) وهذا ما سيعتبره ابن غانية خيانة له، لكن توبته هذه لم تكن خالصة([6]) ربما كان الهدف

---

1 : نفراوة اسم قبيلة سكنت هذا الموضع من بلاد الجديد " بنو نقراوة بن الأكبر بن بربر قيس عبلان ... " تتميز المدينة حسب البكري بحصانتها و لها سور له 6 أبواب . البكري: المصدر السابق، ص 47 . التجاني: المصدر السابق ، ص 143.

2 : تقيوس: من كورة قسطيلية ببلاد الجريد ، بها غابات نخل و زيتون و فواكه كثيرة مما يجعلها الأكثر ثراءا ، تجمع 4 مدن متقاربة و عليها أسوار: مجهول: الإستبصار، المصدر السابق،ص 156..

3 : نفطة: من بلاد قسطيلة تبعد عن توزر بـ 20 ميلا مدينة قديمة مسورة بها غابات و نخيل و بساتين و فواكه كثيرة. نفسه،ص 156 .

4 : ابن عذاري : المصدر السابق ، ص 197.

5 : مجهول: رسائل، المصدر السابق،رقم 31، ص ص 191-199. مجهول: الإستبصار، المصدر السابق، ص 111.

6 : يذكر ابن الأثير أن الخليفة المنصور إستعان بالأتراك للدفاع عن الثغور الإسلامية : المصدر السابق، ج11، ص 520.

منها هو تمكينه من استرجاع أمواله و ذخائره التي كانت من نصيب المنصور عند حصاره لقابس إذ استطاع اقتحام قصر العروسين أين كان يتحصن مع أسرته وفشل في الصمود أمام الموحدين واضطرت أسرته و حاشيته إلى الاستسلام بعد يومين من الحصار ليكونوا ضمن أسرى القوات الموحدية([1]) بما فيها ذخائره و أمواله التي دأب على جمعها طوال سنوات عديدة، من غاراته المتكررة منذ 568 ه/ 1173م ليعود إلى التحالف لاحقا مع يحي بن غانية الذي حاول في هذه الآونة العودة إلى قسنطينة فامتنعت عنه كما امتنعت بجاية.

عاد ابن غانية إلى الصحراء فنزل ببسكرة([2]) التي لم تسلم من بطشه، فقطع نخيلها، وعذب أهلها بكل وحشية([3]) ثم إلى بلاد الجريد ليعود له حليفه قراقوش لكنه لم يكن حاسما في تحالفه معه بل كانت مواقفه متذبذبة لأنه سيعود أيضا إلى لواء الدولة الموحدية من جديد ابتداءا من سنة 586هـ/1990م، أين استقبله السيد أبو زيد ابن أبي حفص بن عبد المؤمن([4]) في تونس و أكرم وفادته([5]) لكنه سرعان ما استغل هذه الظروف وفر منها باتجاه قابس([6]) وقد نتساءل لماذا اعتمد قراقوش على هذه السياسة مع

1:التجاني: المصدر السابق، ص ص95-104. ابن الأثير: المصدر السابق،ج11، ص 521. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص245.

2 : بسكرة : ، قاعدة الزاب ، حسب الإستبصار. مجهول: المصدر السابق ر، ص ص 113-114. .

3 :ا بن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص245.

4 : أبو زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن: أسره العرب، و إفتداه يعقوب المنصور، كان واليا على بجاية بعد تخليصها من بن غانية ثم أصبح واليا على تونس في 584 هـ، ابن عذارى: المصدر السابق ، ص 177.

5 : التجاني: المصدر السابق ، ص 104. ابن خلدون: المصدر السابق،ج6، ص 194. ألفرد بال: المرجع السابق، ص 90.

6 : بها قصر العروسين، و تحصن بها ووضع ذخائره فيها قبل حصول المنصور عليها. التجاني: المصدر السابق، ص ص 104-111.

الدولة الموحد ية والجواب هو ربما كان خضوعه للدولة الموحدية عبارة عن خطة إستراتجية اعتمدها لمساعدة صلاح الدين الأيوبي الذي كان بحاجة ماسة إلى مساعدة بحرية من المغرب تقف في وجه زحف القوات الصليبية المتحالفة التي توسعت دائرة هجوماتها على الدول الإسلامية خاصة في المشرق فأرسل سفيره عبد الرحمن بن منقذ للخليفة الموحدي طلبا للعون في 586هـ/1190م لكنها فشلت حسب بعض الروايات([1]) وقد يكون قراقوش طرفا في فشلها لتحالفه مع بني غانية هذا التحالف الذي تميز بالتذبذب معهم كما كان الشأن مع الموحدين.

لقد كانت تصرفاته تصرفات مغامر أملتها عليه الظروف وهذا ما أشار إليه التجاني بقوله أنه كان يلجأ إلى الطاعة تارة و العصيانفي أخرى:"و قد ذكرنا من أفعاله الشنيعة و مخالفته بني عبد المؤمن و تلاعبه بالمهاجرة إليهم مرة و الفرار عنهم أخرى و دوام ذلك نحوا من أربعين عاما ... "([2]). و إذا كانت فعلا كما أسلفنا خطة إستراتجية فإنه سرعان ما تخلى عنها نظرا للمستجدات التي عرفتها بلاد الشام([3])ففر من تونس إلى قابس واحتلها بعدما خادع أهلها و جمع بعض أشياخ العرب كدباب و كعوب([4]) من بني سليم وقتل منهم سبعون شخصا في قصر العروسين الذي كان في السابق قلعته الحصينة من

---

1 : يشير ابن خلكان إلى أن صلاح الدين لم يخاطب المنصور باسم أمير المؤمنين فعز عليه ذلك و لم يجبه إلى طلبه و يمكن الإطلاع على الرسالة عند المقدسي .المصدر السابق،ج7، ص 12. المقدسي: المصدر السابق، ج4، ص 196.

2 : التجاني: المصدر السابق ، ص ص 113-114.

3 :تم التوقيع على إتفاقية أو معاهدة الرملة في شعبان 588 هـ لمدة سنتين بين صلاح الدين و ملك إنجلترا ابن الأثير: المصدر السابق ، ج12، ص 66. ابن خلدون: المصدر السابق،ج5، ص324.

4 : الكعوب: يذكرهم العمري : " الكعبيون و يعرفون بالكعوب أكبر بيت بإفريقية من العرب برزوا بمع ابن غانية. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دراسة و تحقيق ،دوروتيا كراقولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، 1975، ص ص 182-183.

بينهم محمود بن طوق بن بقية و أبو المحاميد و حميد بن جارية أبو الجواري ثم استولى على كامل ممتلكاتهم بما فيها المناطق التي كانوا يسيطرون عليها.

لقد كان قتلة لأشياخ الجواري والمحاميد([1])أكبر خطا ارتكبه مما أكسبه عداوة بقية قبائلهم من بني سليم الذين نزعوا إلى الإنتقام منه بسبب عنفه ووحشيته([2])معهم خاصة وأنهم من علية القوم، فانضموا إلى ابن غانية بعد استمالته لهم ([3]) باللعب بنار العصبية القبلية ليقضي بها على قراقوش الذي احتل قابس وطرابلس فأصبحت قوات ابن غانية في وضعية لا يحسد عليها، لوقوعه بين فكي كماشة قراقوش الذي سيحاصره من وراء ظهره والموحدون الذين تتمركز قواتهم في المناطق الساحلية.

استغل ابن غانية خطأ قراقوش مع تلك القبائل العربية وحولها إلى صفوفه، معتمدا على اذكاء حقدها الدفين له ليقضي به على غريمه قراقوش الذي ازدادت قوته ومنافسته لابن غانية في هذه الفترة فاقتضت الظروف ضرورة تصفية أحد الزعيمين في إفريقية، لتلتقي قواتهما بالقرب من طرابلس أين دحر ابن غانية غريمه ودفعه نحو جبل نفوسة للاختفاء به بعد هزيمته في معركة

---

1 :المحاميد و الجواري: بطنان من أكبر بطون ذباب فالمحاميد هم من بني محمود بن طوق بن بقية بن وشاح و مواطنهم ما بين قابس و نفوسة و الجواري من بني حميد بن جارية بن وشاح و مواطنهم طرابلس. نفسه، ص 182. نفسه ، ج6، ص ص 86-87. ألفرد بال :بنو غانية، ص 91.

2 : يذكر التجاني أن الدعي بن أبي عمارة أراد أن يبني بناءا حديثا في قابس سنة 682هـ فعثر الحفارون على أزيد من ستين رأسا أمر بدفنها: التجاني: المصدر السابق، ص 104. جورج مارسي: العرب في بلاد البربر، ص 203.

3 : إستمالته إلى العرب كانت باسم العصبية العربية : "بلغ سليما على بعد المزار لها *** بيني وبينكم الرحمان و الرحم"

التجاني: المصدر السابق ، ص ص 114-115. المقري: المصدر السابق ،ج3، ص 109.

محسن([1]) بالقرب من طرابلس سنة 586هـ/1190م. لتسقط بعدها طرابلس اثر حصار بري وبحري شارك فيه عبد الله بن غانية بقطعتين بحريتين من ميورقة في هذه السنة ([2]) لتنتهي مغامرة قراقوش في مرتفعات ودان مقتولا في سنة 609هـ 1212م([3]).

ب- الكر والفر والاتجاه نحو الجنوب:

استعمل هذا الأسلوب في كل مراحل ثورته تجنبا لقوة الدولة الموحدية غير المتكافئة مع قواته خاصة وأنه خسر جزيرتي يابسة ومنورقة في وقت مبكر من ثورته 583هـ/ 1187م، بالأسطول الذي كان يقوده أبو العباس الصقلي ([4]) كما خسر أسطوله البحري بعد سبعة أشهر من بداية الثورة، وكان يضطر أمام القوة البحرية والبرية الموحدية إلى إخلاء المواقع التي سيطر عليها سابقا رغم حصانتها كالمهدية مثلا فكان يتجه تارة نحو الشمال وتارة أخرى نحو الصحراء عبر الأطلس الصحراوي، فجل قوته كانت ترتكز على حلفاء متذبذبين في ولائهم له يُغيرون حليفهم وفق مصالحهم فظروف الحرب ميدانيا

---

1 : محسن: يذكر التجاني أنها من نواحي طرابلس و أن تلك الوقيعة قد سجلها عبد البر بن فرسان كاتب يحي بن غانية ذلك بقوله:

" ألا سقى الرحمن محسن قطرة *** و لازال مغبر الجوانب محسن". التجاني: المصدر السابق، ص 244. وهو ما اعتمده ألفرد بال: بنو غانية، ص 96.إذ ذكر أنه لا وجود لها في المصادر الجغرافية إلا أن الطاهر الزاوي ذكر أن محسن بطرابلس وهي اسم لوادي يدعى "وادي الهيرة".ولاة طرابلس من بداية الفتح،إلى نهاية العهد التركي، دالر الطباعة والنشر، بيروت، ط1930،1،ص 105.

2 : التجاني: المصدر السابق ، ص ص 244-245. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 195. ألفرد بال: المرجع السابق، ص 96.

3 : التجاني : المصدر السابق، ص 114 ، ابن خلدون : المصدر السابق ،ج5،ص 284 .

4 : ابن عذاري : المصدر السابق ، ص 197.

هي التي كانت تتحكم فيهم وهذا النهج الحربي هو الذي اعتمده الأمير عبد القادر في مجابهته للاحتلال الفرنسي بنظام الزمالة([1]).

ت – السيطرة على جزر البليار:

حاول المنصور الموحدي من جهته مرارا أن يخضع ميورقة إلى سلطته وأرسل أسطوله إليها بقيادة القائد أبو العلا(العلاء) بن جامع لكن قوة عبد الله بن غانية حالت دون تحقيق ذلك و رجع الأسطول الموحدي بخفي حنين في 589هـ/1193م. ليتمكن خليفته الناصر من الوقوف في وجه كل محاولات ابن غانية لاستعادة جزيرتي يابسة ومنورقة بين سنتي597هـ/1200م، و 598هـ/1201م ، وسعى بحنكته إلى قطع رأس الأفعى في ميورقة حتى لا تنفث بسمها في إفريقية فأمر، بتجهيز قوة كبيرة نحوها انطلقت من سبتة، وحطت رحالها في دانية بقيادة السيد أبو العلا إدريس ([2]) والشيخ أبو سعيد عثمان بن علي بن أبي حفص فاجتمعا في دانية و هذا حسب رواية الحميري لأن رواية ابن عذاري([3]) تشير فقط إلى دخول الموحدين إلى ميورقة دون ذكر التفاصيل، عن جيش أبحر صوب ميورقة بقوة بلغ عددها ما يلي:"...ألفين ومائتي فارس والرماة سبعمائة، والرجالة خمسة عشرة

---

1 : ألفرد بل: المرجع السابق، ص130.

2 : اختلفت الروايات في تحديد قائد الأسطول إذ يسندها ابن زرع، القيرواني إلى الناصر والمراكشي، و الحميري و ابن عذاري و كوديرا لأبي العلا.المراكشي: المصدر السابق ، ص 260. ابن زرع. المصدر السابق، ص 232.ابن عذاري: المصدر السابق ،ص 240.الحميري: المصدر السابق، ص ص 567-568.القيرواني: المصدر السابق، ص 119.

Francisco Codera: Decadencia y desaparicion de los almoravides en Espania, Zaragoza, 1899,PP 168-169..

3 : ابن عذاري : المصدر السابق، ص 240.

ألفا غير غزاة القطع، و كان الأسطول ثلاثمائة جفن منها سبعون غرابا([1])، وثلاثون طريدة([2]) و خمسون مركبا كبارا و سائرها قوارب منوعة..."([3]). طبعا إلى جانب الأسلحة المتنوعة و المنجنيقات.

انطلق الأسطول الموحدي إلى يابسة التي كانت تابعة لهم منذ سنة 583هـ/1187م فوصلها يوم الجمعة 23 ذي الحجة 599هـ/1203م([4]) ثم أقلع في اليوم الموالي إلى ميورقة، و لم يدم حصاره لها سوى مدة أسبوع واحد حسب ما جاء في الرسائل الموحدية :"...فلم يكن بين الحلول بالجزيرة و الظفر بجهاتها الأربع والاستيلاء على شيطانها...إلا سبع ليال حسوما..."([5])، انتهت بمقتل عبد الله بن إسحاق و يظهر من خلال هذه الرسالة الموحدية أن جزيرتي يابسة ومنورقة كانتا قد أخذتا قبل هذا التاريخ([6]).

استطاع الخليفة الناصر السيطرة على جزيرة ميورقة، ليتفرغ بعدها لمحاربة يحي بن غانية في إفريقية بعدما نهب الموحدون خيرات ميورقة وهتكوا أعراض

---

1 : الغراب: جمع أغربة، مراكب بحرية حربية شديدة القوة رأسها يشبه الغراب، حسين مؤنس: تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الدار المصرية اللبنانية، ط2، 1993، ص 72.صالح أبو رباك: "مدينة بجاية ودورها الحضاري في المغرب"، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد 12، العدد 2،1996، جامعة اليرموك، ص ص 217-257.

2 : الطريدة: جمعها الطرائد، سريعة قوية تستعمل لحمل الخيول تبلغ سعتها 40 فرسا و 100 فارس، حسين مؤنس: المرجع السابقص 72.

3 : الحميري : المصدر السابق ،ص ص 567-568 .

4 : مجهول: رسائل، المصدر السابق ، رقم 36،ص ص 240-245. ابن زرع: المصدر السابق، ص 232. الحميري: المصدر السابق ،ص ص 567-568.

5 : مجهول: رسائل، المصدر السابق ، رقم 36،ص ص 240-245.

6 : مجهول: رسائل:المصدرالسابق ، رقم 36،ص 244. و لو أن ابن عذاري يذكر أن القوات الموحدية سارت بعد ميورقة إلى منورقة و نفس الشيء ذكره المراكشي: المصدر السابق ، ص 260. ابن عذاري : المصدر السابق ، ص 240.

سكانها خاصة النساء، و لم يتسن لتاشفين ([1]) أخو عبد الله ابن إسحاق أن يظفر بما ظفر به أخوه محمد بتوليته دانية، إذ يذكر ابن خلدون أنه خذل أخاه و أصبحت جزر البليار تابعة رسميا للدولة الموحدية منذ شهر محرم سنة 600هـ/1203م، و أصبح أبو عبد الله بن طاع الكومي قائد البحر الموحدي واليا عليها .

ث- قيادة الحروب واستعمال الجواسيس:

عادت دفتها للخلفاء الموحدين فالمنصور لم يشرك أحدا في تحديد خطة الهجوم على بني غانيه بل ميّز جيوشه، و استبد برأيه بعد هزيمة عمرة ، ونفس الشيء قام به الناصر إل غاية سنة 603ه/1203م أين عمد إلى تعيين الشيخ عبد الواحد واليا على إفريقية واصل عمله بها حتى بعد وفاة الخليفة الناصر في سنة 610 ه/ 1213 م.

كما دس الموحدون الجواسيس حاملين كتبا لأهل المغرب تحمل لهم الأمان والصفح والإحسان وتذكرهم بعدة الجيش الموحدي وأساطيله وهو أسلوب المبتكر الذي ساهم في مساعدتهم للموحدين([2]) ونفس الشيء مع بني غانية في بجاية وعند اتجاهه نحو الغرب.

ج- الحصار وقطع الأشجار:

كحصار قسنطينة التي طال حصاره لها و لم يستطع اقتحامها لحصانتها، فالخندق الذي كان يحيط بها من ثلاث جهات وقف في وجه تقدمه مما ساعد سكانها على الصمود، و لم يجدّ حصاره نفعا لأنهم تعودوا على خزن مؤونتهم

1 : ابن خلدون يشير إلى أن تاشفين خذل أخاه ربما طمعا في كرم الموحدين كما فعلوا مع محمد بن غانية و لم يظهر له أثر بعد ذلك مما يؤكد قتله. ابن خلدون: المصدر السابق ، ج6، ص 248.

2 : ابن عذاري: المصدر السابق، ص ص 188-189.

من قمح، و شعير، في مطامر ([1])اشتهرت بها قسنطينة مما سيمكنهم من الصبر على المكاره، و لقد صوّر ابن محشرة صمودهم هذا في إحدى الرسائل التي كتبها باسم الخليفة الموحدي أبو يعقوب المنصور([2]) مشيرا إلى:"... قصد قسنطينة.... مؤملا اختداع أهلها ...فألقى بصائر أهلها مستحكمة ... وقلوبهم على الطاعة الصحيحة..." ([3]).

لم يتمكن علي ابن غانيه من دخول قسنطينة لذلك لجأ إلى وسيلة قطع الماء عن أهلها لعلهم يستسلمون له حيث كان وادي الرمال([4])يصبّ في خندقها و يزودها بالمياه الضرورية لهم، وكاد الظمأ يوصله إلى غايته لولا لطف الله بهم و رحمته لهم بأمطار سقتهم وردّت كيد عدوّهم المتربص بهم،كما أشار ابن قنفذ:"... و إنما أشرف على أخذها بقطع الماء عنها، و لجأ أهل البلد إلى صالحها الشيخ أبي الحسن علي بن مخلوف فسأل الله المطر فنزل و كانت حملة عظيمة في الوادي خرق سد الميورقي و لم يقدر على قطعه..." ([5])، فرجع عنها.

نفس الأمر الذي سار عليه الخليفة المنصور في قفصة التي حاصرها مدة ثلاثة أشهر، هذا الحصار الطويل الذي جعله يلجأ إلى استعمال المنجنيقات والآلات التي أحاطت بالمدينة من كل جهاتها، وردم الخندق الذي يقع في الجهة المقابلة لسورها ، وصنع برج عال له سبع طبقات تمّ شحنه بالرماة و الرجال والأسلحة ليتمكنوا من ذلك السور الذي كان يحمي المدينة، ورغم ذلك إلا أن

---

1 : ذكر الإدريسي مطاميرها:".. ففي كل دار تجد مطمورتان أو أكثر تخزن فيها الحنطة لمدة طويلة...»: المصدر السابق،ص 167..

2 : الخليفة أبو يعقوب المنصور: بطل معركة الأرك. المراكشي: المصدر السابق ، ص ص 218-119. ابن زرع: المصدر السابق، ص 216.

3 : مجهول: رسائل، المصدر السابق، رقم 29، ص ص 172-173. تتقي الدين: المصدر السابق،ج1 ، ص 229.

. M. Poujoulat : Etudes africaines, T2, Ed Hivert, Paris, 1847, PP.56-61:4

5 : ابن قنفذ: المصدر السابق،ص 103.

ابن غانية ومن معه استطاعوا صدّ الهجمات الموحدية، وألقوا على الموحدين الحجارة ليجبروهم على التراجع إلى الوراء، فأعادوا الكرة من جديد باستعمال برج مصنوع ومنجنيقات أضرمت النار في برج بن زواج فأحالته أثرا بعد عين.

أما عن قطع الأشجار فلقد عانت منه بسكرة على سبيل المثال مثل غيرها فلقد انتقل إليها يحي بن غانية وأقدم على معاقبة أهلها بقطع أيديهم بسبب إعلان طاعتهم لسلطة الموحدين، بعدما كان قد دخلها في بداية مغامرته وسيطر عليها، فعاد إليها من جديد لينتقم منهم، فسجن عاملها وقطع نخيلها في سنة 597هـ/1200م، وقفصة.

حـ- سوء معاملة الأهالي ونفي القبائل العربية:

استباح كل طرف أهل عدوه في سبيهم واذلالهم إذ استعمل ابن الربرتير أسرة ابن غانية في ميورقة لاتقاء ضربات جيشها فكلما سددت نحوهم المنجنيقات رفعوا فوق السور شخصا من ذرية ابن غانية لتحاشيها وكانت في الغالب أمهم([1]) كما لجأوا إلى التمثيل بالجثث وهتك الأعراض بما يخالف قوانين الحرب التي سنتها الشريعة السمحاء إلى جانب إقدام الخليفة المنصور على نفي العرب إلى المغرب فأنزل عاصم وجشم بتامسنا ورياح بمنطقة الهبط ونفى بدوره الشيخ عبد الواحد بعض القبائل إلى تونس.

من جانب آخر أرهق الناس بالضرائب الباهظة وضاقت بهم السبل بالقتل والتشريد في وقت كانت فيه الأندلس بحاجة إلى تقديم يد العون للوقوف في وجه النصارى بتلك الاستراتجيات الحربية التي تفننت فيه القوى الإسلامية المتصارعة بالمغرب والجزر الشرقية، زهقت من جرائها الأرواح وقلت فيها الأقوات وخربت الأرض، لتبدأ مرحلة المأساة الكبرى التي فقد فيها المسلمون الأندلس برمتها وانقسمت بلاد المغرب الإسلامي إلى دويلات متناحرة .

1 : ابن عذاري: المصدر السابق ، المصدر السابق، ص ص 193-196.

– قائمة المصادر والمراجع:

– ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، في أخبار ملوك المغرب، و تاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973.

– ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ، دار الفكر، بيروت، 1978،ج11، 12.

– الإدريسي: القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق) تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

– برانشفيك:تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن13إلى نهاية القرن15، ترجمة حماد الساحلي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1988،ج1.

– البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، (و هو جزء من أجزاء كتاب المسالك والممالك)، نشر البارون دي سالان، مكتبة أمريكا و الشرق باريس، 1965.

– بورويبة رشيد: الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977.

– البيذق: أخبار المهدي بن تومرت و ابتداء دولة الموحدين، نشر ليفي بروفنسال، المكتبة الشرقية، بول قوتنز، باريس، 1928.

– عبد الهادي التازي "سفارة صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور"، مجلة الأكاديمية، المملكة المغربية، العدد 11، مطبوعات المملكة المغربية،1994، ص ص 105-131.

– التجاني:رحلة التجاني، تقديم حسني حسن عبد الوهاب، المطبعة الرسمية بتونس، نشريات كتابة الدولة للمعارف تونس، 1958.

– تقي الدين عمر:مضمار الحقائق و سر الخلائق، تحقيق. حسن حبشي، دار النشر عالم الكتب، القاهرة، بدون سنة،ج1.

– ابن جبير: رحلة ابن جبير، دار التراث، بيروت، 1968.

– الحميري: (صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، مصر، ط1، 1975.

– الشيخ محمد الخضري: الدولة العباسية، دار المعرفة، بيروت، 1998.

– ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق ، تحقيق أحمد مختار العبادي وإبراهيم الكتاني،نشر وتوزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب،1964،ج3.

– ابن خلدون عبد الرحمن: العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تصحيح تركي فرحان المصطفى، دار إحياء الثراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999،ج6، 7.

- ابن خلدون يحي: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم و تعليق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980،ج1.
- ابن خلكان:وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، دار الثقافة، بيروت، بدون سنة،ج3.
- الخوند مسعود:الموسوعة التاريخية و الجغرافية ،معالم وثائق: موضوعات تصحيح : شربل الخوند، جورج سليم خليل سمعان، طبع في لبنان، توزيع مؤسسة هانياد، بيروت، 1976، ج1.
- أبو دياك صالح: "مدينة بجاية و دورها الحضاري في المغرب منذ القرن الرابع إلى القرن الثامن"، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد 12، العدد 2، جامعة اليرموك، الأردن، 1996، ص ص 217-257.
- الزاوي الطاهر: ولاة طرابلس من بداية الفتح إلى نهاية العهد التركي، دار الطباعة و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1930.
- الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966.
- ابن الساعي:الجامع المختصر، تحقيق مصطفى جواد، المطبعة السريانية، الكاثوليكية،بيروت، 1934.
- سالم عبد العزيز. تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب و الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1969.
- سيسالم سالم عصام:جزر الأندلس المنسية، التاريخ الإسلامي لجزر البليار، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984.
- ابن الشماع: تاريخ ابن الشماع، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة، رقم 1621، الجزائر.
- ابن عذاري: البيان القسم الموحدي، تحقيق إبراهيم الكتاني و آخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985.
- العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دراسة و تحقيق دور ويتا كراقوليكي، المركز الإسلامي للبحوث، 1975.
- الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة لبجاية، تحقيق رابح بونار، دار النشر و التوزيع، الجزائر، 1970.
- أحمد غزاوي :رسائل موحدية، مجموعة جديدة، الجزء الأول، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، القنيطرة، ط1، المغرب، 1995،ج1.
- ابن قنفذ:الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968.
- القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقية و تونس، تحقيق و تعليق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط3، 1387 هـ.

- لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5هـ/11م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- ليون الافريقي حسن الوزان: وصف إفريقيا (الجزء 1، 2)، تحقيق محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983.
- مجهول:الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر و تعليق سعد زغلول، عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1985.
- ـــــــــــــــ: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار عبد القادر، زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1979.
-ـــــــــــــــ: مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، إصدار ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، رباط الفتح، المطبعة الاقتصادية، المغرب، 1941.
- المراكشي: المعجب في أخبار المغرب، تقديم و تحقيق زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994.
- المقديسي: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية و الصلاحية، تحقيق محمد حلمي وآخرون ، القسم الثاني، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، 1962،ج1.
- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1997.
- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، ط1، 1983.
- مؤنس حسين: تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الدار المصرية اللبنانية ط1، مصر، 1991.
- هرباش زاجية : ثورة بني غانية، من 580 ه إلى 633 ه/1184م-1237م، رسالة لنيل شهادة الماجستير،جامعة وهران، 2001-2002.
- الونشريسي:المعيار المغرب و الجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية و الأندلس و المغرب ، تحقيق محمد حجي و جماعة من الفقهاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981،ج2.
- Bel Alfred : Les Benu Ghânya, Ed Ernest Leroux, Paris, 1903.
-Fagnan : Extrait relatif aux Maghreb, traduit par Fagnan, Ed Jules Carbonel, 1924.
-Francisco Codera: Decadencia y desaparicion de los almoravides en Espania, Zaragoza, 1899.
- Géographie d'Espana, Cataluna, Baleares N° 9, Ed Planeta Spain, 1992.
-George Marçais : « Les Arabes en Berberie du XI aux XIV Siecles », Recueil des notices et memoires, societe Arche ogique, Constanine, imprimerie Braham, 1914, PP171-233.
-M. Poujoulat : Etudes africaines, T2, Ed Hivert, Paris, 1847.